- السقيلبية – غيث العبدالله - http://ghaith-a.com -

عارف الريس / قراءة نقدية

Posted By غيث العبدالله On 17 يونيو 2012 @ 4:02 ص In فنون تشكيلية | No Comments

يعتبر الفنان التشكيلي اللبناني (عارف الريس) واحد من أهم الفنانين التشكيليين اللبنانيين والعرب . وهو من جيل الرعيل الريادي الذي ساهم مع غيره . من أبناء جيله .الفنانين التشكيليين اللبنانيين . بان وضع اللبنات الأساسية . لجماليات الفن التشكيلي في لبنان . حيث قدم لنا صياغات الفن التشكيلي العربي اللبناني . في روح الفن الأصيل . الذي ينتمي إلى وطنه الأم . حيث لبنان ارض ملتقى الحضارات في روح الشرق . ومابين ملتقى الحضارات الإنسانية العالمية .وبين أبداع إنسان هذه المنطقة . منهج تأصيلي . قد لا يأتي في صفة روح التراث التقليدي . و أنما يعرش بالذات المبدعة . كي يكون في روح جوانيات أي شخصية مميزة . في الحركة الإنسانية . والجمالية . والفنية . ولهذا يلغ على روح الفنان المعلم (عارف الريس) صفة التردد الموجي للون الداخلي . في روحه . وهو المتناغم مع سخونة أفكاره المتمردة والمجنونة . بروح المشاغبة الكونية . حيث له شخصيته المميزة . والمتفردة في إيقاع المحترف التشكيلي اللبناني الحديث والمعاصر . والقديم . و لأنه ذو شخصية محلية لبنانية . في كاريزمية الفنان الحقيقي . الذي اتخذ من روحية إعماله فرصة تقديم الشرق في لوحته . ليقول لنا أن الفن لغة عالمية . تنطلق من روح محليته . وفي ميدان الإبداع . يكسر الفنان كل القواعد التقليدية للفن . فتأتي تجربته في ميدان سباقات الحراك الإبداعي الحركي للفن التشكيلي العربي واللبناني . وكأنها وهج روح الخصوصية . في مغامرة العقل الإبداعي الأول . حيث البحث والتجريب والخصوصية . والمغامرة . وحقيقة الإنسان الواعي المثقف . كي يكون في خصوصية الإنسان حقيقة الإنسان والفنان . وعيون الاعتبار لإنسانية المواقف . لهذا كان (عارف الريس) رساما ونحاتا . وصاحب منجز أبداعي لا يتكرر . في شكل ضوء كامل . حينما كان يمارس إمكانياته الإبداعية . على مدى واسع من الحياة والشمس والحقيقة والضوء. في حقيقة روح الفن الإنساني . والاجتماعي . والشعبي . النابع من ثقافة بلاده وحضارته ووطنيته . بكافة أشكال فروع الجمال . والفكر بها . ومن تلك المكانة العظيمة . سكن الفنان (عارف الريس) هذه الحياة بكافة ألوانها وهمومها وقضاياها العالقة بدون حل . حيث سرمدية هذا الوجود الفاني . حينما يكون الإنسان به . مجرد حقيقة عمر الإنسان المنهوب . في حقيقة فن الجمال . وجمال الفن . لهذا رسم ونحت وسافر ولون ووثق في اغلب الأحيان . عذابات الإنسان . بدءا من إنسانية المواطن اللبناني والعربي والعالمي . وصولا إلى مفهوم تجربة الإنسان في شحنات علم الجمال . الذي أراد أن يقيم به حديقة أفكاره. وجمال سماته الإبداعية . في شلال إحساس عبر وجوده الإنساني والجمالي . وعبر روح التوحد بالزمان والمكان . والحلم والحب . في روح تجربة معاشة . حيث روح التواجد الإبداعي . الذي يتربص بالجهل والظلم والألم . كي يعادله بالحكمة والوعي والعافية وسياسة الأمر الواقع في جمالية الرؤى والأحلام والانجازات . في جهد الفنان المبدع الرائد . الذي نقش اسمه في ذاكرة الأجيال . وكأنها مسلة واقع أيامنا الجمالية المعاشة . في كل ما هو إبداعي وخلاق .

والتشكيلي . في تقنيات فنه البصري . حيث ما ورائيات السطح التصويري مستلهما روح الفن العالمي والمحلي . على حد السواء . الذي حقق بعمق وبصدق وعيه الإنساني والإبداعي . ومن ضمن جدلية البعد الإبداعي . وإظهار براعات عالم الفنان التشكيلي (عارف الريس) عبر روح البعد الجمالي في مستوى إبداعاته بالنحت والرسم والتشكيل . وذلك وفق أسلوبيته بالشكل المجسم أو عبر فنون الرسم التجريدي . بتكعيبية وجدانية . ذات تأثيرية ضاغطة . حينما تتمازج العناصر الأساسية التي تتداخل في بنية العمل التشكيلي في المنجز الفني الذي اشتهر به . في روح الفعل الإبداعي والتاريخي لعمله الفني . حيث المكعب الداخلي . هو تجسيد روح الرياح الهوجاء التي عصفت بحياة الفنان . وقيمة إنسانيته . حينما تصدى لتوثيق جماليات معاناة الإنسان اللبناني . وذلك بتاريخ كل ما هو عاصف ببئر الموت وصفيح كولاجات تاريخ المدن التي احترقت في كتف حجم المأساة . التي صارت بفنون الحرب والسلم . وجدان عمر الملهاة . في حياة قرار الأرض العطشى . حيث رسم الميتون من قبورهم . وسقط اللون الحار على أجساد شهداء تاريخ البلاد . ليقول لنا الفنان . أن الجذور باقية . وأثداء القنابل المسمارية . ظلت تدوي أفعال القبح والشرر. ولكن كان للفنان / الإنسان . معادل رسم روح الجمال للإنسان . حيث لوحة الفنان بمليون مقاتل همجي . أفنى عمره في صنع البشاعة. ضد قيم الإنسان . لهذا كانت ولازالت تجربة الفنان الراحل (عارف الريس) صورة مقومات الإبداعي لفنان عالمي انطلق من روح القدرة التعبيرية في تسجيل لحظاته . برسم لوحاته . ومنحوتاته . ليكون وفق أسلوبيته الحرة . والمفتوحة على روح محاكاة الواقع وعذاباته وجماليات الإنسان به . هو روح عمر الواقعية في الفن . وفق منهجية لغته التواصلية مع الناس والآخرين . وبفضاء حر وجهارة معروضاته تحت أشعة الشمس . والأماكن العالم . وفي مختلف تراب بلاده في لبنان . والمدن التي زارها وعرفها وأبدعها في أغرضها . (إفريقيا والعربية السعودية ومدن أخرى) ترك الفنان الراحل الرائد (عارف الريس) الكثير من الآثار الجمالية . ذات المحتوى الموضوعي . في مواضيع الوجوه المعذبة . والبورتريهات الكثيفة الالتماعات . وفي رسم عمر الملامح التاريخية والبطولات الإنسانية . جاءت خبراته التقنية . لتجسد صوره الجمالية اللافتة للاهتمام . بمناحي عديدة . حيث النتاج تراكمي . والهالات الجمالية مؤثرة . في عين القارئ والمتلقي والرائي . لهذا كانت تجربته الفنية في مسيرته الإبداعية . صورة ذلك الامتداد الراسخ لأصالته التي تندرج وفق مناحي إبداعاته . حيث مخزون موضوعاته . وأناقة اشتغالا ته العابقة بالأحاسيس الانفعالية . للنموذج والفنان المصور والمجرب والمتمرد . في ملامح تجسيدا ته لقيم الصفات التاريخية للإنسان . حيث يحرص الفنان على تمثل القيم النضالية والأخلاقية . في تعبيره . حيث الاشتقاقات الإبداعية . كثيفة والجماليات . من سماته المميزة . وقد عكف الفنان على نقل مشاهداته الحسية . بادراك مواقفه الجمالية . فجاءت في فنه وأدواته . كدلالة الصمات الفارقة لعالمه الفني والإبداعي . والتي منها شكل فرادة تجربته بين التجارب الفنية التشكيلية اللبنانية والعربية . ومنها أضاف وجوده إلى العالمية . ولهذا حملته الوديان إلى قمم جباله . وأشجاره . وإنسانه . وأحلامه . وأسفاره . وقرار الحب فيه . رافض قضية الجسد المنهك . وصوت الرصاص الذي يسكت إنسانية الإنسان . ولم يعتريه الخوف كي يمسك خيط الكآبة . بل رسم ولون ونحت ورقص وغنى واطرب . سنبلات القمح في سهول عكار وبعلبك وشتورا والجنوب . ولملم من أوراق الحب تعاليم الرفاق الحكماء . من ذكريات نعيمة وجبران ومهدي عامل وكمال جنبلاط ومارون عبود وسعيد عقل والأخوين الرحباني والأخوة بصبوص وآخرون . وأشعل من سحق الدمع زوايا بيوت علم الجمال . في كامل التراب اللبناني . فكان له الكون الفسيح . أصوات أخرى . مع هبة أي نسائم في روح جبال جبيل والشوف وعالية وراشانا . وغيرها من تضاريس البلاد العزيزة على روحه . والتي بقيت في أسطورة جماله . حتى رحيله . لتبقى في مكنون إعماله .روح تلك الرمزية التي تسللت إلى روح الكوامن الخاصة به . حيث سار فيها إلى نهاية الشوط الحياتي . تاركا من قيمه الجمالية . بروح وسائل الأداء الإبداعي . روح ريادة المذهب ألابتكاري . بجدلية التحليل العقلي . وأفكار حالاته النفسية . المستعصية على روح الضباب الإنساني . حيث الإيحاءات الموسيقية الجمالية . هي مختلف مناخات الهوى التجريدي . في شكل ترديد النغمات الجمالية . الإبداعية . في عمر تجاربه الفنية . في النحت والرسم والكولاج . وبقية أشاراته الأسطورية . في مادة الشكل والمضمون . لهذا جاءت أعماله في معرضه النحتي الوحيد في بيروت عام 1964م في غاليري (لا ليكورن) بعد عودته من ايطاليا حيث درس النحت والتشكيل المجسم . بالمواد المختلفة مدة 3 سنوات . وقد

عرض في فلورنسا وروما. أعمال هذه المرحلة . كما يقول الناقد التشكيلي والباحث الجمالي اللبناني ((سيزار نمور)) (من محفورات ومنحوتات وتشكيل بالمعادن . والمواد المختلفة . بالإضافة إلى لوحاته الرملية . غير أن بدايات نحته كانت قبل ذلك في السنغال . عام 1958م . عندما حفر أقنعة خشبية . بالأسلوب المحلي . وفي باريس مارس التشكيل بالطين . وكان أكبر عمل نحتي له . بعد رجوعه من باريس . تصميم مقبرة الشهداء في بلدة بقعاتا الشوف عام 1958م. التي روت أفكار كمال جنبلاط . بأسلوب تشخيصي سردي . وقد عرف الجمهور اللبناني عارف الريس كرسام أكثر مما عرفه كنحات . رغم أن حاز على اكبر عدد من الجوائز التقديرية . بين النحاتين اللبنانيين . لمنحوتاته وليس لرسومه . فقد منح الجائزة الأولى مرتين في معارض الخريف (عامين 1965- 1966 م) والجائزة الأولى . والثانية في مسابقتي تجميل المدن اللبنانية (عامي 1963- 1967م) وغيرهم .وقد مارس النحت في اتجاهات مختلفة عكست فورات شخصيته . ونقلاته الواسعة في فنه . واخذ المنحى السردي التشخيصي . في منحوتاته بقعاتا واتجه نحوا لتجريد . بالمواد المختلفة بين عامين 1960 – 1964م . وانجرف نحو التجريد . في منحوتاته الحجرية في معرض سوق جبيل القديم . (عام 1974م) الذي شارك فيه باثنتي عشر منحوتة . سار في منحى التركيب الهندسي . والمنهج ألحروفي في تصميم الانصبة التي نفذ عددا منها . في المملكة العربية السعودية . قام بتصميم مشاريع أبنية . ومراكز اجتماعية . وجامعية . ومساجد . ومدن بالمواد البلاستيكية . والطين . وغيرها بتصور . استلهم العمارة الإسلامية القديمة . حقق قناطر ارتفاعها ثلاثون مترا . في مدخل مدينة تبوك الشمالي . كما صمم مداخل مسجد الأميرة حصة في الرياض . وعددا من برك المياه في حدائق عامة في جدة . وتبوك . عارف الريس فنان ديناميكي . مأخوذ بعالم الأفكار . نراه أذا لم يرو أفكاره يرمز اليها . ينجر دائما إلى تحميل الشكل معنى فكريا . التزامه نحو قيمة ومعتقداته . وأفكاره . لا يقبل إلا أن يحمل عمله معنى خاصا . يتملكه هاجس شرح معنى كل شيء . والنحت يطرح عليه . دائما مسألة شرح جديدة . لذلك لا نعجب عندما يتقدم . أحيانا . المضمون على الشكل . والفكرة على القالب . وتصبح المنحوتة . وسيلة للتعبير . وليس الغاية منها . وتبرز هذه المسألة أكثر ما تبرز في بعض الأنصبة التي أشادها خلال السنوات العشر الأخيرة . والتي أخذت منحى حروفيا جسدت بالمادة الصلبة كلمات تقرأ بالمسطح . حيث تكمن أبرز أعماله النصبية . وقد تكون أروعها . نصب كلمة لفظ الجلالة ((الله)) الذي صممه بارتفاع 35سم من خشب البلصة في لبنان . ثم صبه بالبرونز قبل تنفيذه في جدة . بصفائح الألمنيوم في دوار الملك فهد . حيث ترتفع عناصر النصب الأربعة . من قاعدتها الفسيحة إلى السماء بتسارع في حرفي اللام . وبشيء من التردد . في حرف الألف . وحرف الهاء . المنفتحة في الوسط . تؤكد حركة الصعود . ببساطة الإطار . والخطوط . والتي ((تقلم)) المساحات بموازاته . يتراءى العمل . من احدي الزوايا . ككتلة كبيرة غنية بتقاسيم من الخطوط العمودية . التي تتردد كأنشودة تسبيح . وسرعان ما تذوب الكتلة . عندما تشاهد من الزوايا الأخرى . حيث يتصل فضاء العمل الداخلي . بفضائه الخارجي . وتتضح معالم تكوين العمل . وتتسارع حركته الصعودية . يغتني العمل . عندما تدخله أعمدة النور من الخلف . ويرسم الضوء والظل على مسطحاته . من الإمام . أنغاما من الخطوط العمودية اسكب المضمون في الشكل . وقد نفذ عام 1979م . بجدة بالسعودية . وهو الذي صممه بعام 1963م . بارتفاع 28مترا . ويؤكد بها على بساطة الإطار . والخطوط الموازية له حركة النصب العمودية . ويكتسب النصب ديناميكية عندما يتصل فضاء العمل الداخلي مع الفضاء الخارجي . لعارف الريس نصب ((يا رب)) من الرخام الأبيض . وزنه 90طنا . وارتفاعه 13 مترا . صمم عام 1967م . ونفذ عام 1983م . وقد شيد في ساحة مدينة تبوك . وهو تصميم مكرر لشكل المعين (لوزنج) في (شكل ذو أربع إضلاع متساوية . وزاويتان حادتان وزاويتان منفرجتان) . وهو مؤلف من أربع شرائح متماسكة تشكل كتلة ضخمة يخفف شيئا من ثقلها . تكسر خطوط إطارها . وقد حفر على جانبيها العريضين . حفرا بارزا كلمة ((يا رب)) بخط حاد الزوايا . نجد أن تكرار حركة خطوط إشكال المعين . تمثل صدى النقاط الثلاث لكلمة ((يا رب)) . ويقف النصب على قاعدة مرتفعة مؤلفة من أربع قواعد مركبة الواحدة فوق الأخرى . من دون سبب تشكيلي واضح . وذلك عكس حال نصب ((الله نور السموات والأرض)) في تبوك أيضا . الذي يقف على قاعدة ذات أربع طبقات منسجمة التركيب . تخالها جزءا من النصب نفسه . يتألف هذا النصب من أربعة أعمدة تكون أحرف كلمة ((الله)) ومحفور عليها بالتتابع عموديا الخطوط الأربعة لكلمة لفظ الجلالة . وفي أسفل الأعمدة كرة من الرخام نجد ترددا بسيطا لشكلها في الفجوات المستديرة في قمة الأعمدة . لعارف الريس نصب آخر بالدعاء ((يا رب)) وفيه تكرار حروفي للدعاء مع صدى التكرار في الأعمدة والخطوط . وكأنه شكل اورغن يردد تجويد الدعاء . وقد نفذ عارف الريس انصبة أخرى اقل حجما عام 1986م في تبوك . منها نصب ((الله اكبر)) وهو تشكيل حروفي . تبدأ أحرف كلمة الجلالة من الأعلى لتنتهي في الأسفل بربع دائرة حرف الهاء المرتكزة على كلمة ((اكبر)) التي تشكل قاعدتها . ونصب ((يخرج الحي من الميت)) وهي منحوتة مستديرة محفور عليها آيات وإشكال رمزية . ومركزة على قاعدة لا تحمل علاقة شكلية معها . وتحمل الرموز قيمة أدبية تأخذ الاعتبار الأول قبل جمالية الشكل المجردة . وهي بارتفاع 4 أمتار ونفذت عام 1986م بتبوك . من الرخام الأبيض . وهو شكل مغلق رمزي يحمل في قاعدته كتابة المعنى الذي أعطاء الفنان للمنحوتة . وهذا ما نجده في متحف الهواء الطلق على شاطئ مقر الضيافة في جدة . سبعة أعمال ملفتة للنظر . هذه الإعمال تجريدية . لم يقيدها موضوع . رغم أن الفنان أعطى كلا منها . بعد التنفيذ . اسما حسيا . وقد عرضت سابقا في معرض سوق جبيل القديم في لبنان عام 1974م . بعضها متعدد الإشارات . غني بالإحجام والإشكال . بعضها بسيط الشكل . مختصر الإشارة . تلبس مساحاته قماشتين مختلفتين تحددان بعض خطوط العمل وإحجامه . وتبرزان استدارة الكتلة ونمط الحركة . مثلا في إحدى أعماله الذي نحته بصخر لبناني وبارتفاع حوالي 150 سم . في عام 1965م . ويدور عمل مداري . ومنتصف برشاقة . وهو غني بالإحجام المركبة والخطوط المتآلفة . والمتعارضة . والحركة الهادئة . ومنها منحوتة ((الشراع)) في حجر بارتفاع 150سم في عام 1963م . حيث يلتف الحجر برشاقة . ليظهر تباين المساحة المصقولة مع المساحات المقمشة . ولعارف الريس عشرات التصاميم المعمارية . لمشاريع أبنية نفذها بشكل نماذج بمواد مختلفة من دون تكليف رسمي . استعمل فيها مواد البناء الجديدة . وتقنياتها الحديثة . مراعيا فيها مناخ المكان الطبيعي . وصفات سكانه الثقافية . واعتباراتهم المجتمعية وشخصيتهم القومية . ليس فقط بالنسبة لمضمون المكان المغلق . بل بالنسبة لعلاقته أيضا مع الخارج . ويبقى المضمون هاجس عارف الريس . ويستمر سكب المضمون في الشكل هو المسألة . كما في عمله ((مشروع مجمع واحة الملك عبد العزيز الصحراوية)) التي أنجزها من الطين وهو بناء منحوت للسكن حيث يدخل النور من صحن الدار . وهو في تصميمه يناقض لمركز جورج بمبدو في باريس .)) . كان عارف الريس رمز من رموز العطاء التشكيلي . والإلهام الدائم في الساحة التشكيلية العربية اللبنانية . وفي روح الحياة كان صديق النفاد الى عمق المشهد الشعبي . في حراك يوميات جمال الناس . وكل الناس أحبابه . ونغماته المجنونة . حين وظف يومياته الإبداعية . كي تشعر أيامه التشكيلية . بروح تمرد عالم الفنان . في الواقع الجمالي . لهذا نجد سحر الشرق . في خلايا تجاعيد أوقاته التشكيلية . حيث سعى إلى بلورة حقيقة المشهد الإبداعي التشكيلي اللبناني . وسعى إلى إيجاد مكوناته الإبداعية . لروح فن شعبي معاصر . ينطلق من معطيات الحالة الجمالية الإبداعية . في حقيقة أن الفنان التشكيلي العربي . يملك الإرث الجمالي والفكري والفلسفي . مستقلا بروحه المبدعة . وذاته الوليدة لقيم فهم عناصره الجمالية . حيث الفن عنده أبداع وجمال وارض لأحلام البسطاء . والناس . في بيئة ظروف الحياة . وجماله المفتوح على فلكلورية تراثه الإنساني البديع . في شكل حضارة الإنسان .

Article printed from السقيلبية – غيث العبدالله: **http://ghaith-a.com**

URL to article: **http://ghaith-a.com/archives/50296**

حفظ الحقوق © 2009 غيث العبدالله - السقيلبية. جميع الحقوق محفوظة.